إيران وأمريكا: هل حسما الصفقة بشأن العراق؟!

05-1-2005

وفي الواقع، فإنه لا واشنطن ولا طهران يمكن أن يتهرب من حقيقة أن كلا منهما محتاج للآخر للحصول على ما يريده من العراق. فواشنطن بحاجة ماسة لإنهاء سياستها المتعلقة بتغيير النظام في العراق وتخفيض مستويات قواتها. وبالنسبة لإيران، فإن العراق هو الممر الإستراتيجي والحاسم الذي من خلاله يمكن أن تصبح الطرف الإقليمي الرئيسي في منطقة الشرق الأوسط الكبير، خاصة في ظل غياب منافس محتمل لإحباط طموحاته

بقلم خالد حسن

صدرت عدة بيانات من واشنطن وطهران وبغداد تلمح إلى أن إدارة بوش والنظام الحاكم في إيران وأصحاب النفوذ في المجتمع الشيعي في العراق، توصلوا إلى تفاهم بشأن مستقبل العراق. ورغم ما أثاره ملف البرنامج النووي الإيراني، والذي لا تعتبره واشنطن تهديدا فوريا، من ضجة وتصعيد في اللهجة، فإنه يظهر بأن عقد الصفقات حول العراق، يمكن أن يمهد الطريق للعلاقات الثنائية الإيرانية الأمريكية.

وقد صرح الناطق الحكومي الإيراني مؤخرا بأن طهران لم تقرر لحد الآن بشأن الطرف الثالث للتوسط في المفاوضات غير المحددة بين إيران والولايات المتحدة. ويأتي هذا التصريح بعد يوم واحد من إعلان وزير الخارجية الأمريكي كولن باول بأن حكومة عراقية مستقبلية خاضعة لهيمنة الشيعة ومتأثرة بإيران لن تشكل تهديدا للولايات المتحدة أو مصالحها. في اليوم نفسه وفي بغداد، أفاد التحالف الانتخابي الشيعي الرئيسي، بأنه إذا وصل إلى السلطة في انتخابات 30 يناير، فلن يدعو إلى الانسحاب الفوري لقوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة من البلاد.

هذه البيانات الثلاثة مجتمعة مع التطورات الحاصلة، تشير إلى أن واشنطن وطهران قد توصلتا إلى تفاهم حول "ضرورة استقرار العراق".

وجاءت الصفقة المحتملة في أعقاب النهاية المؤقتة للخلاف النووي في نوفمبر 2004. حيث قررت إيران الامتثال لطلبات الوكالة الدولية للطاقة الذرية، بغرض التفرغ لتحقيق هدفها المتعلق بالتأثير على العراق عبر تنصيب نظام عراقي خاضع لهيمنة الشيعة.

في المقابل، تدرك واشنطن أيضا أن خصائص العراق السكانية وتصاعد وتيرة المقاومة، عززتا أسهم إيران في التورط في الملف العراقي بما يتجاوز حدود التأثير الجغرافي والتاريخي. سبب آخر وراء تفضيل واشنطن خيار إيران/ الشيعة، أن إيران في وضعيتها الحالية ببرنامجها النووي لا تشكل تهديدا فوريا، وأكثر من ذلك يمكن احتواؤها دائما من خلال الإتحاد الأوربي.

فالولايات المتحدة لا تتوقع أن تشكل إيران تهديدا نوويا حقيقيا في الوقت القريب. وتدرك واشنطن بأن طهران تستعمل حاليا ورقة التهديد النووي لإنجاز أهداف أخرى. وقد ناورت طهران بالتهديد النووي لجلب الولايات المتحدة إلى طاولة الحوار للتباحث حول العراق، وهو الهدف الذي أُنجز. ويمكن لإيران أن تعود إلى القضية النووية في موعد لاحق، فيما يبدو أن إدارة بوش واثقة بأنها ستتعامل مع الملف النووي الإيراني في الوقت الملائم وبطرق وأساليب أنسب.

وعلى أية حال، فقد تمكنت إدارة بوش من الفصل بين القضيتين في تعاملها مع إيران، الأمر الذي من المحتمل أن يؤدي إلى تحسين العلاقات بين الجانبين، خاصة إذا تم الاتفاق على صفقة بشأن العراق.

وفي الواقع، فإنه لا واشنطن ولا طهران يمكن أن يتهرب من حقيقة أن كلا منهما محتاج للآخر للحصول على ما يريده من العراق. فواشنطن بحاجة ماسة لإنهاء سياستها المتعلقة بتغيير النظام في العراق وتخفيض مستويات قواتها. وبالنسبة لإيران، فإن العراق هو الممر الإستراتيجي والحاسم الذي من خلاله يمكن أن تصبح الطرف الإقليمي الرئيسي في منطقة الشرق الأوسط الكبير، خاصة في ظل غياب منافس محتمل لإحباط طموحاتها. في نفس الوقت، قد تستعمل واشنطن الشيعة الفرس لموازنة العرب السنة، وتُغرق ما يسمى بـ"الشرق الأوسط" في مستنقع المعارك الإقليمية لمنعهم من التوحد ضد الولايات المتحدة.

ومن خلال رصد علاقات التوتر بين البلدين في الربع الأخير من القرن الماضي، يبدو أنه ليس هناك مفر من الالتقاء، وهذا: للتعامل بشكل مفتوح، وكذا ليتأكد كل طرف بأن الآخر سوف لن ينكث العهد بشأن التزاماته، وأيضا للاتفاق على الشروط المقبولة بالنسبة للطرفين.

وعلى أية حال، تبدو حاليا النقاط الرئيسية للخلاف، إما أنها وضعت جانبا للتعامل معها لاحقا، أو ربما حلت بالتفاهم.

ويأتي الملف النووي في المقام الأول في قائمة الخلافات بين الطرفين، الذي يبدو أن واشنطن تشعر بنوع من الارتياح تجاه القضية، حيث يتم التعامل معها عبر وكيلها الأوروبي، ثم إن منطق الأحداث في العراق "يستوجب" عليها قدرا من التنازل عن المسألة النووية لمتابعة أهدافها في بغداد. بينما نقطة الخلاف الرئيسية الأخرى، الحضور المستمر للقوات الأمريكية في العراق.

كما أدركت واشنطن أن إثارة القضية النووية تحرك خاطئ في الوقت الحاضر، وقررت التعامل مع القضية الحقيقية، ونعني بها العراق. بينما تراجعت طهران عن "التصعيد" بالبرنامج النووي، بالرغم من أن الأسلحة النووية تظل خيارا استراتيجيا بالنسبة لطهران.

وعبر القنوات الخلفية والبيانات العامة، يظهر أن واشنطن أقنعت الإيرانيين أخيرا بأنها لن تحاول إحداث تغيير في نظام طهران. في نفس الوقت، فإن الوتيرة المتصاعدة للمقاومة السنية في العراق، جعل الأمر يبدو أكثر سهولة على شيعة العراق لغض الطرف على بقاء قوات الاحتلال في العراق